

ابن خلدون وعلم الاجتماع السياسي

إعداد :

د. حسين سالم مرجين

www.morjeen.com

ملاحظات عامة حول أفكار افلاطون وارسطو

- اقتصر اهتمام تلك الفلسفة على دراسة العلاقة بين الفرد والدولة من خلال تحديد إطار نموذجي للدولة (بصورة خاصة عند افلاطون)
- تسود النظرة المثالية في تحديد العلاقة الفرد بتلك الدولة ، فالفرد يجب أن يخضع لإدارة الدولة التي تحدد له وظائف معينة من خلال وضعه " الطبقي " معين عن طريق تأهليه وتنشئته لتلك الوظيفة(المحاربون – الشغيلة – الحكماء).
- رغم تلك النظرة المثالية للدولة وعلاقتها بالافراد نجد أن كل من أفلاطون وارسطو قد أحاطا قضايا التربية الاجتماعية والتنشئة ودور المعرفة والعلم والحاجة الاجتماعية والاجتماع ..إلخ ذات أهمية بالغة في فلسفتها السياسية ، إذ وجدوا رابطة بين تلك العناصر الاجتماعية والعناصر السياسية المتمثلة في الدولة.
- يمكن القول بأن الفضل الكبير يرجع إلى (ارسطو وافلاطون) بوضع بذور الأولي لما يمكن تسميته بعلم الاجتماع السياسي ولو بخطوطه العامة

ابن خلدون و علم الاجتماع السياسي

1332-1406م

- يعتبر ابن خلدون أول من درس المجتمع البشري بطريقة واقعية.
- أسس علما أسماء علم العمران البشري وأرد لنفسه بذلك أن يكون أرسطو العرب.
- في الحقيقة وضع ابن خلدون مجموعة من المقولات وضعت في حسابها إرث الماضي ومطالب الحاضر وتحديات المستقبل، إضافة الى كونها تتمتع بوضوح رؤية وتماسك العدة المعرفية.
- عالج ابن خلدون حالة التفاقم في الصراعات الاجتماعية السياسية التي امتدت منذ القرن العاشر على المجتمع العربي والتي تمثلت في مرحلة التفتت في نشوء الامارات المحلية المختلفة والنزاعات الفكرية حول مبادئ الخلافة وروحه.
- أهم إنجازاته هو تركيزه على دراسة الظواهر السياسية من زاوية مجتمعية ، وذلك انطلاقاً من نظرة واقعية للأمور بعيداً عن الطريقة الارشادية – الوعظية التي سيطرت على الازدهان طيلة القرون القديمة والوسطى

ابن خلدون وعلم الاجتماع السياسي

1332-1406م

□ يمكن اعتبار أن الحلقة المركزية في فكر ابن خلدون هو دراسة لمسألة السلطة وأبعادها الاجتماعية .

□ تعريفه للعصبية : أنها الرابطة التي تجمع بين أفراد القبيلة مع بعضهم البعض ، وهو ما يسمى بالاتحاد الآلي ووحدة الإرادة واجتماع الشمل .

□ أساس السلطة في المجتمعات العربية القبلية هي العصبية القبلية التي تقابلها مسألة " الولاء " لرئيس القبلية " الرئاسة "

□ أن ما يربط القبائل العربية هي الرابطة العصبية التي تتمركز السلطة فيها بالرئاسة " الرئاسة القبلية " ولكن مع سير المجتمع في طريق العمران فإنه يتم جمع القبائل العربية ببعضها البعض في كيان جديد أسماه " الحكم " أو " الدولة " فيري أن سلطة الرئاسة تنتقل إلى سلطة الرئيس في القبلية إلى سلطة " الملك "

□ وهذه السلطة تضطر إلى تركيز نفسها من خلال التغلب بالقهر والحكم وليس من خلال العصبية كرابطة أساسية في الوضع القبلي.

□ خلال انتقال الرئاسة من سلطة القبلية إلى سلطة الحكم " الدولة " تفقد العصبية القبلية أهميتها ووظيفتها الاجتماعية والسياسية وذلك بسبب سيطرة القانون وسيطرة المصالح " أدوات السلطة الجديدة".

□ إن تطور المجتمع وانتقاله من الحالة القبلية الرئاسة إلى حالة الدولة " الملك" ما هو إلا الانتقال إلى المجتمع السياسي الذي تطغي عليه الصراعات ، وعدم الاستقرار.

□ وهكذا يفسر ابن خلدون أسباب ومقومات عدم الاستقرار السياسي من خلال تحليله لمسألة انتقال السلطة القبلية إلى السلطة المركزية " سلطة الدولة " التي تحاول صهر القبائل المختلفة في بوتقة واحدة في ظل سلطة مركزية واحدة.

تابع... ابن خلدون وعلم الاجتماع السياسي

هرم الدولة:-

ينطلق ابن خلدون من فكرة أن لكل دولة عمر محددة وإذا وصلت الدولة إلى مرحلة الهرم فإنها لا محالة سوف تنهار، وشبه حالة الهرم هذه بمثل الأمراض المزمنة التي لا يمكن دواؤها ولا ارتفاعها، وحتى وإن قامت الدولة بجملته من عمليات الإصلاح من خلال تنبه رجالات الدولة الى ذلك الهرم، فإن ذلك لا ينفع مع تلك الحالة المرضية المزمنة.

وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون (قد يتنبه كثير من أهل الدول ممن له يقظة في السياسة فيرى ما نزل بدولتهم في عوارض الهرم ويظن أنه ممكن الارتفاع فيأخذ نفسه بتلافي الدولة وإصلاح مزاجها، عن ذلك الهرم ويحسبه أنه لحقها بتقصير من قبله من أهل الدولة وغفلتهم وليس كذلك فإنها أمور طبيعية للدولة)

[عبد الرحمن بن خلدون ، 1983: ص190]

تابع

كما يُرجع ابن خلدون أسباب عدم نجاح عمليات الإصلاح إلى عوائق بطبيعة الحكم والتي تفرض أنماطاً معنية من السلوك والعادات وتصبح ملزمة بحكم استمراريتها حيث لا يستطيع رجالات الدولة تلافيتها وفي هذا يقول ابن خلدون (والعوائد هي المانعة له من تلافيتها والعوائد منزلة طبيعية أخرى فإنه من أدرك مثلاً أباه يلبس الحرير.... ويتحجبون عن الناس في المجالس فلا يمكنه مخالفة سلفه في ذلك إلى الخشونة في اللباس والاختلاط بالناس إذ العوائد حينئذ تمنعهم وتقبح مرتكبه ولو فعله لرمي بالجنون والوسواس في الخروج عن العوائد) [عبد الرحمن بن خلدون ، 1983: ص 190]

وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون (وربما يحدث عند آخر الدولة قوة توهم أن الهرم قد ارتفع عنها ويومض ذبالها ايماضة الخمود كما يقع في الذبال المشتعل فإنه عند مقاربة انطفائه يومض ايماضة توهم أنها اشتعال وهي انطفاء) [عبد الرحمن بن خلدون، 1983: ص 190]

الانقياد والتسليم :-

(إن الشعوب تنصبغ بصبغة الانقياد والتسليم نتيجة لسنين الحكم الطويلة حيث يصبح لدى الشعوب اعتقاد وتصور راسخ بالتسليم للحاكم) وبالتالي (لا يكاد أحد يتصور عصياناً أو خروجاً إلا والجمهور تكون عليه مخالفون له) [عبد الرحمن بن خلدون ، 1983: ص 7] .

نشأة جيل جديد:-

رائمت الشعوب كما يقول ابن خلدون (المذلة على القتل والتلف حتى عجزت عن المدافعة والمطالبة بحقوقهم) [عبد الرحمن بن خلدون ، 1983: ص 97] وبالتالي (فنشأ جيل جديد آخر عزيز لايعرف الأحكام والقهر ولايسام بالمذلة، جيل يحاول تضيق الفجوات من خلال المدافعة والمطالبة والتغلب) [عبد الرحمن بن خلدون ، 1983: ص 97] وفي هذا الصدد يذكرنا ابن خلدون (بحكمة التيه أربعين سنة الذي وقع في بني إسرائيل عندما رفضوا القتال مع سيدنا موسى ، والمقصود بالأربعين فناء جيل الأحياء ونشأة جيل جديد آخر لم يعهدوا الذل ولا عرفوه) [عبد الرحمن بن خلدون ، 1983: ص 118]

الظلم البين :-

وفى هذا الصدد يقول ابن خلدون أن (الظلم مؤذن بخراب العمران)
[عبد الرحمن بن خلدون ، 1983: ص185]

الدعاة والخوارج على الدولة:-

يرى ابن خلدون أنه مع وصول الدولة إلى مرحلة الهرم تبدأ الدعوات للخروج عليها بعدما استفحل فيها الترف والنعيم إلى غايتها، إضافة إلى انفراد صاحب الدولة بالمجد وقطع أسباب المشاركة في الحكم، فهذه الأسباب تؤدي إلى ضعف الدولة ومن ثم هزمها ليحل محلها دولة مستجدة، وذلك بعد حروب بين الدولة الهرمة والدولة المستجدة وفي هذا الشأن يقول ابن خلدون (فيقع بينهم حروب سجال تتكور وتتصل إلى أن يقع الاستيلاء والظفر بالمطلوب) [عبد الرحمن بن خلدون ، 1983: ص193]

تابع ...

ولكن ذلك لا يتم بسهولة للدولة الجديدة نتيجة لعقائد التسليم للدولة الهرمة فيحصل بعض الفتور في طاعة الدولة لجديدة ولكن مع استمرار تلك الحرب يتضح حسب ابن خلدون (هرم الدولة المستقرة فتضمحل عقائد التسليم لها) [عبد الرحمن بن خلدون ، 1983: ص193] وبالتالي (تنبعث منهم همم لصدق المطالبة... فيقع الظفر الاستيلاء) وبعد قيام الدولة الجديدة يتضح لها مدى هشاشة الدولة الهرمة وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون (واتضح لأهل الدولة المستجدة مع ما كان يخفى عنهم من هرمها وتلاشيها وقد عظمت قوتهم بما اقتطعوه من أعمالها ونقصوه من أطرافها فتنبعث همهم يداً واحدة للمناجزة ويذهب ما كان بث في عزائمهم من التوهّمات وتنتهي المطاولة إلى حدها ويقع الاستيلاء) [عبد الرحمن بن خلدون ، 1983: ص193] . .

الأطراف والمركز:-

وفى هذا الصدد يقول ابن خلدون (فتقل الحماية إلى تنزل بالأطراف
فتتجاسر الرعايا على بعض الدعوة فى الأطراف ويبادر الخوارج على
الدولة من الأعياص وغيرهم إلى تلك الأطراف لما يرجون حينئذ من حصول
غرضهم إلى تلك القاصية لهم وأمنهم من وصول الحماية إليهم ولايزال ذلك
يندرج ونطاق الدولة يتضايق حتى تعد الخوارج فى أقرب الأماكن إلى مركز
الدولة) [عبد الرحمن بن خلدون ، 1983: ص 190]

أخيراً يمكن القول

أن أول ما يلفت النظر عند ابن خلدون ليس هو فقط ربطه ما بين السلطة كظاهرة سياسية وبين مقوماتها وحسب، وإنما محاولاته لدراسة تلك الظاهرة السياسية – الاجتماعية من خلال استناده إلى معطيات الواقع نفسه. ان قصد ابن خلدون من ذلك هو البحث في طبيعة الحياة الاجتماعية لكشف قوانينها وبغض النظر عن كونها ذو قيمة أو حميدة .